إسهامات علماء كَنُو في نشر الثقافة العربية في نيجيريا

"بين الفوائد والعوائد"

إعداد

محمد أحمد مديح

كلية التربية الفدرالية, كنو , نيجيريا

المؤتمر الدولي الثالث للغات العربية، للاستثمار في اللغة العربية و مستقبلها الوطني والعربي والدولي، المنعقد خلال الفترة من 10 – 7 مايو 2014 ، المواقف 11 – 8 رجب 1435 هـ ، في الدولة الإمارات العربية دبي.

المقدمة:

بسم الله وكفى, والصلاة والسلام على النبي المصطفى, وبعد:

تعد بلاد كنو"Kano" من أكبر وأقدم البلدان الأفريقية التي شاعت فيها الثقافات العربية, وانتشرت منذ أمد بعيد. وهذه الثقافات المستمدة من الإسلام اشتدت شوكتها وأينعت ثمراتها بجهود حمّاتها الذين أنشئوا المدارس العربية في مختلف أصقاع المنطقة, والمتحمسين الغيورين لدينهم الحنيف. الذين وقفوا على ساق الجد في تنمية وانتشار لغة القرآن عبر المدائن النيجيرية. وقد ثبت في التاريخ أن لكل وطن أبطال يبذلون جهورهم في تنمية جميع جوانب شؤونه الوطنية, وللعلماء عبر هذه العصور جهد بارز في ميدان التعليم والتعلم, ولم تزل مجهوداتهم الباهرة في هذه الظاهرة مشكورة. والمقالة تهدف إلى إلقاء الضوء على مدى إسهامات علمائنا الكنويين الحوساويين الذين تم لهم التعليم في أيد من وفد إليها من التجار والمتصوفين, وأخذوا نصيبهم في ميادين شتى من العلوم والفنون. ويتحقق هذا الهدف من خلال المباحث الآتية:

- موجز تاريخ كنو.
- ماضي التعليم العربي وحاضره فيها.
- إنشاء المدارس العربية الإسلامية.
- حركة التأليف والبحوث.
- مستقبل اللغة العربية فيها.
- الخاتمة.
- التوصيات.

***موجز تاريخ مدينة كنو:**

تقع مدينة(كنو) في شمال جمهورية نيجيريا الاتحادية, ويحدها من الشمال الغربي ولاية كتشنة, ومن الشمال الشرقي ولاية جِغَاوا, ومن الجنوب ولاية بَوتشِي, وإلى الشمال من هضبة جَورس الواقعة في منطقة حَطِيجَا سَفَانا, التي تندفق بالقرب منها الأنهار التي تنبع من الجنوب الغربي, حتى تتلاقى لتشكيل نهر الذي يصب في نهاية المطاف في بحيرة تشاد, وتقع كنو على ارتفاع حوالي 481م فوق مستوى سطح البحر.كما يبلغ عدد سكانها حوالي 10مليون نسمة تقريبا, ونسبة المسلمين منهم حوالي93%, وكان عاصمة الولاية مدينة كنو.

وتعد ولاية كنو من إحدى الولايات الست والثلاثين لجمهورية نيجيريا الاتحادية, وهي مركز اقتصادي, وأحد أهم المراكز الثقافية في غرب أفريقيا, كما تعتبر مدينة كنو ثالث أكبر مدينة في نيجيريا الاتحادية بعد مدينتي لاجوس وإبادن, وكان سكان كنو حوسويون اللغة.وكانت كلمة الحوسا تطلق على الشعوب والقبائل الساكنة بين مملكة برنو شرقا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا, وهي إحدى اللغات الإفريقية الثلاث الرئيسية التي يتكلم بها المسلمون في إفريقية. وأولاها وأكثرها انتشارا اللغة العربية.

ولقد شهدت مدينة "كنو" توسعا ملحوظا في النواحي العمرانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي, وساهم وصول العلماء الأعزاء والتجار العرب سواء من المغرب العربي أو من بلاد السودان, ومصر وغيرها في العصور الوسطى في انتشار التأثيرات العربية الإسلامية في شتى مناحي حياة سكانها, بالإضافة إلى بروز المؤثرات العربية في العمارة والفنون فيها, مما ساهم في تعزيز الهوية العربية الإسلامية في تلك المنطقة. وإن مدينة كنو بتاريخها العريق تمثل مركزا حضاريا إسلاميا مهما, وتعد علامة متميزة في تاريخ الحضارة الإسلامية التي شعت أنوارها في الآفاق, وساهمت بكل مالها من النفس والنفيس وبقوة بناء الحضارة الإنسانية عبر العصور.

تعدد الروايات حول تاريخ دخول الإسلام في كَنُو, غير أنه يمكن القول بأن الإسلام قد وصل إلى كنو في وقت مبكر وذلك منذ القرن التاسع الهجري خلال امراطورية برنو في عهد الملك إدريس ألموما الذي عاش بين1603-1571م.1 ومما هو جدير بالذكر أن الإسلام دخل في مدينة كنو ووجد رواجا حسنا عند أهلها من خلال حسن المعاملة والتكريم وأخلاقه النبيلة.

***ماضي التعليم العربي وحاضره فيها:**

ولقد استفاد علماء نيجيريا منذ العصور الأولى بدخول الدعاة العرب المسلمين في رحلاتهم العلمية, فقد زار عدد كبير منهم شمال البلاد- وخاصة مدينة كنو- وهم يحملون معهم أمهات الكتب الدينية, ومبادئ اللغة وقواعدها,ومن الطبيعي أن يتلفظ التجار الأهالي من إخوانهم العرب مفردات اللغة وينشرها فيما بينهم كما كان يحدث في موسم الحاج مثلا, حيث كان التجار السعوديون يفضلون التحدث بلغة هوسا أحيانا وذلك إذا أحسوا أن المشترى من نيجيريا وكان الحجاج يقتبسون من المفردات العربية, وتلي هذه إسهامات بعض المتجاولين من علماء العرب.2 وبذلك انتشرت الكتب اللغوية والدينية في المنطقة. ونذكر من بينهم الشيخين المشهورين على سبيل المثال وهما: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني سنة 909 هجرية. والإمام جلال الدين السيوطي سنة911هجرية, وأحمد سعيد بابا التنيكتي, وفتح الله بورس القيرواني, وعبد الله الثقة المالي وغيرهم, فقد زاروا مدينة كنو, وكتشنة,وينتندو, وزكزك وغيرها ولعبوا مع غيرهم من علماء أدوارا كبيرة في نشر العربية والثقافة الإسلامية, حيث أسسوا الحلقات التعليمية والمدارس القرآنية3.

ولقد بدأ تعليم اللغة العربية منذ ذلك الحين وأصبحت اللغة جزء لا يتجزأ من فكرها وثقافتها, والمقصود أن العربية قد انتشر بانتشار الإسلام وثقافته في جميع أرجاء المدينة وضواحيها بفضل بعض العلماء المحليين الذين اتخذوا تعليم القرآن الكريم مهنة, شأنهم شأن العلماء في شتى أنحاء البلاد, وفي ذلك يقول الدكتور أحمد غلادنث:" وقد ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام, وكان المجتمع المسلم كغيره يهتم بهذه المدارس ويرسلون الأطفال بنين وبنات إليها, فيتعلمون شيئا من القرآن كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية. وطريقة التعليم في تلك المدارس أو الكتاتيب كما تسمى في مصر لا تختلف من منطقة إلى أخرى, ولم تكن تلك المدارس تخضع لأي نظام موضوع, فليس للحكومة عليها يد, وباستطاعة أي إنسان أن يفتحها ويدرس فيها إذا حفظ بعض السور القرآنية وتعليم الكتابة

والقراءة. وليس بشرط أن يحفظ القرآن كله كما كان الحال في مصر. وفي الغالب كان المعلم يبدأ بتعليم أولاده أو أولاد أقاربه وأصحابه فيرسل الناس أطفالهم بعد ذلك حتى تصبح مدرسة.4

لذا ترى طفل هذه البيئة منذ حداثة سنه محب للعزلة مفطور على التدين غيورا على دينه تلوح عليه سيما الوقار والذكاء والنجابة معرض عن اللهو كل الإعراض, ولا ينفق وقته إلا فيما يعود عليه بفائدة, هذا كله يحدث له وهو لا يزال في ريعان شبابه ونعومة أظفاره. ولا عجب, فإن كثيرا من رجال هذا الوقت أخذوا علوما متفاوتة وفنونا متفرقة على أيد من وفد إلى المدينة من المتصوفين وأهل الزهاد, وكانوا في نشأتهم لا يشاركون أترابهم في مختلف مناحي اللهو, كما لا تجد الصوفي الجليل يجري وراء الملذات والشهوات,فحياته مليئة بالعبادة والزهد والنسك, وكانت شخصيته بعيدة عن حياة اللغو واللهو والعبث, والسر في ذلك —كما يبدو– أمران اثنان:

أحدهما: يتصل بالبيئة التي نشأ فيها, وأعني بها الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية, والحياة الفكرية التي تذلل مدينة كنو منذ ذلك الحين.

وثانيهما: يرجع إلى تزهده منذ صباه, لأنه كما يقال"الإنسان ابن بيئته" فيرجع إلى البيئة التي ترعرع فيها, ولا يزال يحكي أبواه, وهما يزوداه بأدوات اللازمة, ويرشداه إلى ما يرجع إليه بالنفع.

هذا, ويمكن تقسيم هذه المدارس إلى ثلاثة أقسام, وهي:

1.المدارس القرآنية:

لقد أثبت التاريخ أن هناك بعض المدارس القرآنية في مدينة كَنُو قبل حركة الجهاد ابن فودي, وبمجيئها ازداد عددها, كما ازداد عدد طلابها الذين يأتونها من داخل المدينة وخارجها, ولا تزال هذه المدارس باقية في المدينة إلى وقتنا الراهن, حتى لنجد في كل حارة أو في كل بيت مدرسة قرآنية.وقد ساهم أمراء وعلماء هذه المملكة في نشر اللغة العربية في شمال نيجيريا, بل خلاصة القول, أنهم بذلوا مجهودات كبيرة في سبيل تقدم وارتفاع بقدر العربية الإسلامية حيث أسسوا المدارس القرآنية والعربية والعلمية, وسافروا إلى البلاد العربية خصوصا مصر, وتونس, والمغرب لطلب العلم.

ويرجع الفضل إلى أولئك العباقرة الذين تصدرون للتدريس في الكتاتيب التي تؤدي دورا فعالا في ترسيخ العلوم العربية والعقائد الإسلامية الصحيحة في الدارسين الناشئين من جانب, والكبار في السن من جانب أخرى, ولا يشترط على المعلم أن يكون له المنهج المتبع, بل يعتمد على أسلوب التقليدي بتلقين الصبيان القرآن الكريم, يكتب المعلم لتلميذه الحروف الهجائية أولا على اللوح يعلمها, ثم يكتب له سورة الفاتحة بعد ذلك, ثم المعوذتين بالتدريج حسب إدراك كل تلميذ, ثم يواصل في التعليم بقراءة السور مع الحفظ إلى أن يصل سورة الأعلى, فهذا الأسلوب يأخذ التلميذ ثلاث سنوات أو أكثر قبل أن يختم القرآن سردا وحفظا لبعض السور القصار التي يمكنه لتأدية الصلاة المفروضة وللفوائد الأخر كالتعبد بتلاوتها. وأما الكبار فالمعلم يلقى دروس هذه اللغة العربية والإسلامية على نفس الأسلوب التقليدي, ولا يشترط عليه أن يتحصل على إجازات علمية قبل أن يتصدر للتدريس, بل يكفيه أنه واثق بنفسه وقدرته على

التدريس كما درسها على الطريقة التقليدية من أساتذته, فهو مستعد لنقلها إلى الآخرين.5 وإضافة على عملية التدريس قد يشتغل المدرس بأعمال أخرى كما حكاها عن آبائه وأجداده من الوعظ والإرشاد, أو الزراعة, أو الصناعة اليدوية وغيرها.

2. المدارس الدهليزية:

ففيها يعلمون الناس أنواعا من العلوم والمعارف ويتدارسونها كابر,من تفسير وحديث وفقه وتوحيد وبعد كتب اللغة العربية, وكتب أخرى مفيدة. وكان معظم طلابها كبار يتوافدون على العلماء من كل حدب حتى لا يكاد المدرسون يجدون فرصة الاستراحة لسبب كثرة الازدحام في بيوتهم, وكانوا يدرسونهم بدون مقابل مادي, ولذلك يتمتعون باحترام كبير لدى عامة الناس, وفي ذلك يقول الدكتور غلادنث:" ولا يخفى أن الدين الإسلامي دائما يشجع التعليم العربية ويجعله جزء لا يتجزأ من الدين, ويعطي العلماء في المجتمع الإسلامي منزلة لا تساويها منزلة, ولا نبالغ إذا قلنا أن العالم في المجتمع النيجيري في القرن الماضية كان يتمتع بتبجيل وإجلال يكاد يبلغ حد التقديس وذلك لما يمتاز به من ثقافة دينية راقية, فيلتفت حوله عدد من الناس ليتعلم وليتثقف بذلك تبتدئ الفصول الدراسية".6

والأصل في تأسيس مثل هذه المدارس الدهليزية تدريس مبادئ علوم الإسلاميات والتصوف والأشعار الدينية وغيرها من الأشعار الزهد واللغة كشعر الجاهلي, والعشرينية, وديوان الشيخ إبراهيم الكولخي, ودالية ابن ناصر, وكتاب ابن دريد. وهذه المبادئ الدينية هي التي أدت إلى وجود كثيرا من الطالبين والراغبين في تعليم قواعد اللغة العربية ليسهل لهم فهم هذه الكتب فشرعوا في طلب تعليم علوم العربية كالنحو, والصرف, وذلك عن طريق تدرّس كتاب الأجرومية, وملحة الإعراب, وحتى ألفية ابن مالك, وكانوا يحفظونها حفظا على ظهر قلوبهم.

3. المدارس العربية الحديثة:

فهي المدارس المتطورة من حيث الأساليب والنظم والطرق والمناهج وغيرها. ولهذا النمو الهائل وعلاقة وثيقة بنظام التعليم في البلاد العربية.

لقد بدأت الإصلاحات عند بعض العلماء المثقفين من أعلام هذه المدينة وتطورت في أطوار عديدة, وتكاد تنفق الروايات على أن أول من نهج الطريقة التعليمية الحديثة في مدينة كَوُ هو الشيخ العالم الأمير عبد الله بايرو–رحمه الله– لعب دورا لا ينساه التاريخ في ازدهار وتقدم حركة التعليم والتعلم وإنشاء الجوامع والمدارس, وبعد زيارته إلى مملكة العربية السعودية, وإلى القاهرة وبلاد فلسطين, وإلى جمهورية السودان, وغيرها من بلاد العرب, وخلال ما تحصل من الخبرات في مجال التعليم قام بتأسيس المدارس العربية الإسلامية.7

فقد أنشأت مدرسة الأولى من نوعها في مدينة كنو لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية على النظام الحديث فيها عام1924م,بهدف تدريب وتخريج القضاة الشرعيين وأوفدوا إليها العلماء من كلية غردون بالخرطوم, جامعة السودان, ثم تعاون أمراء شمال نيجيريا على تأسيس مدرسة الشريعة الإسلامية عام1934م, وأمثالها كثيرة من المدارس العربية الحكومية التي أسست لإنقاذ اللغة العربية من نير المستعمرين ورفع مدرسيها. وقد ساهمت هذه المدارس في تزويد المعلمين الذين لا يستهان بدورهم في نشر الثقافة العربية وتقدمها في

نيجيريا. ومن ضمن هذه المدارس العربية معهد الدين التي أسسها الشيخ محمد الناصر كبر بحارة غوالي, وهي من أقدم المعاهد الإسلامية النظامية في مدينة كنو, ولقد تم تأسيسها سنة1950م. وعلى يده تم تأسيس كلية تراث الإسلام غرندوظي سنة1980م. ومن المدارس التي ساهمت ولا تزال تساهم مساهمة فعالا في نشر الثقافة العربية في أرجاء قارة إفريقيا عبر طلابه من أبناء كنو وغيرها. واليوم تعج المدينة بعدد كبير من المدارس العربية الحديثة نذكر بعضها لا الإحاطة بكلها, منها:

1. كلية معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بحارة غوالي.

2. مدرسة الدراسات الإسلامية العالية بشهوثي كنو.

3. مدرسة النهضة الإسلام لمنظمة فتيان الإسلام بغونمجا.

4. كلية المعلمات العربية للبنات غورندوثي.

5. كلية الشيخ التجاني عثمان للدراسات والإسلامية.

6. كلية الشيخ الثاني حسن كافنغا للدراسات الإسلامية.

7. كلية الشيخ ميحولا للدراسات الإسلامية.

8. كلية الشيخ ما لم كبر بمصلى النساء.

9. مدرسة الشيخ أبو بكر عتيق بحارة سنك.

10. مدرسة الشيخ علي قوقي, وغيرها كثير لا تعد ولا تحصى.

وقد أسهمت هذه المدارس ولا تزال تسهم في دفع عجلة اللغة العربية نحو الأمام وجعل أبناء نيجيريا من الأئمة والأدباء والمؤلفين والمصنفين والداعين إلى دين الله الحنيف. وطورت هذه المدارس المنهج التعليمي العربي من الأسلوب القديم التقليدي إلى الأسلوب الحديث النظامي, فحددوا السنوات الدراسية في كل مرحلة من المراحل التعليمية, وترتيب الطلاب حسب الفصول وتعديد المناهج الدراسية والكتب المقررة التي تناسب أذواق الطلبة. وتصدر المدارس الشهادات للمتخرجين الناجحين. وهناك أيضا جمعيات إسلامية أنشئت وتلعب دورها في إنقاذ أبناء المسلمين من كيد الجهل,وبدأت روائح الإحياء والتجديد تفوح للإسلام والعربية عامة في بعض جوانبهما عند عدد كبير من العلماء وخواص من المسلمين كل يبذل قصارى جهده على انتعاش الإسلام والثقافة العربية واسترجاءهما كعصورهما الذهبية, فأول ما بدءوا به تأسيس الجمعيات التي تهتم بفتح المدارس والدعوة إلى الله والوعظ والإرشاد, ومن ضمن هذه جمعيات: جمعية فتيان الإسلام, وجماعة نصر الإسلام, وجمعية أصحاب الكهف والرقيم, وجند الله, وجمعية إزالة البدعة وإقامة السنة, وفرع كنو لجمعية مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا, وجمعية أحباب المصطفى, وغيرها. وقد أسهمت أعضاء هذه

الجمعية وبعض العلماء والمشايخ ولعبوا دورا كبيرا لا ينساه التاريخ في إنشاء المدارس الدهليزية والمعاهد الأهلية, والمراكز العلمية لرفع مستوى الثقافة العربية ونشرها في أراضي النيجيرية خاصة وغرب إفريقية عامة.

ولقد قسمت المدارس الأهلية النظامية الطلاب إلى مراحل دراسية, بدء من المراحل الابتدائية أو الأساس, والمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية, وحددت لكل مرحلة على حدة, والهدف من تأسيس هذه المدرسة ووضع مناهجها كانت ولا تزال لتعليم الدين الإسلامي وإعداد الدعاة والأئمة. ويقضي التلاميذ في مرحلة الابتدائية في أول أمرها أربعة سنوات, وثلاث سنين في المعهد الأدبي وفروعه.

هذا, وبإنشاء قسم الدراسات العربية والإسلامية في بعض جامعت نيجيريا منذ 1961م, ورجوع البعثة العلمية من الدول العربية, استطاع طلاب العربية أن يستمعوا إلى البرامج العربية عبر ستلاين, ووجود الطباعة العربية والآلات الإلكترونية والحاسوب وغيرها من العوامل نهض التعليم العربي من جديد حتى لتراه توافق النهضة الحديثة في الدول العربية.

***حركة التأليف والبحوث:**

تعد بلد كَنُو مركزا من مراكز العلوم والفنون في شمال نيجيريا, لنزول عددا كبيرا من العلماء والأدباء الذين أسسوا المدارس والمعاهد تخرج فيها أباء كنو وأبناء شتى البلدان الحوسوية وغيرها, وما لبث أن بدأت حركة التأليف على أيد الكنويين أمثال الشيخ أبو بكر عتيق, الذي وضع تأليفاته في ميادين شتى من العلوم والفنون فيما بين العربية والإسلامية والتصوف, وله ما يزيد عن 35 كتابا منها "إعانة البلدان بالمنظومة الرقطاء", وهي أرجوزة عدد أبياتها مائة وعشر بيتا,حاول فيها الشيخ تسهيل تعليم اللغة العربية لمتعلميها من المواطنين, وكتابه"تنبيه النبهاء لئلا يغتروا بأقوال السفهاء",والكتاب عبارة عن مقالة صغيرة تقع في ثلاث صفحات, وموضوعها شرح كلمة"الأسقم" في اللغة العربية وأصل اشتقاقها في الصرف.وكتابه"الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع",وهو كتاب يقع في سبع وثمانين صفحة. تناول فيه الحديث عن أكابر الشيوخ الذين تبحروا في علوم التصوف والطريقة التجانية.ومن أبياته قوله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

مدحي له قد كان في إطراقي * لا ما أسطره على الأوراق

ماذا أقول بمدح من رب الورى * أثنى عليه بأعظم الأخلاق

قل ما تشا في مدحه من بعد أن * وصفته بعبودة الخلاق

قل عبده وخليله وحبيبه * وصفيّه هو فاتح الأغلاق

هو سيد الرسل الكرام وخيرهم * هو أصل كل الخلق بالاطلاق8

والشيخ محمد الناصر كبر هو الآخر الذي أنفق جميع حياته في خدمة الإسلام وصيانة اللغة العربية, وقد بذل هذا الشيخ النفس والنفيس في ميدان العلم والمعرفة, وخلف للمكتبة الإسلامية كتبا ورسائل قيمة, وأكثرها في علوم: التفسير والتوحيد والفقه والحديث

والتصوف الإسلامي والتاريخ والسيرة النبوية والتراجم وعلوم اللغة العربية بإضافة إلى ثلاثة دواوين شعرية بالغتي العربية والحوسوية, والتي يبلغ عددها حوالي(11,000بيتا) تقريبا. ويبلغ عدد مؤلفاته(300) كتابا, إلا أن المتداولة في أيدي الناس لا يجاوز40%, كما أن حوالي 50% منها ضاعت وتبعثرت بعضها في أيدي ورثة أصدقائه, وما زال 10% منها في أيد بعض أبنائه.وله مؤلفات عدة تقع في مائة وتسع وخمسين كتابا.9 وللشيخ كافنغا صاحب البلاغة والبراعة مؤلفات كثيرة معظمها في اللغة العربية والإسلامية, وكتاب نيل البغيا للشيخ يحي بن محمد النفاخ, كما ألف الشيخ ميحولا وغيرهم من العلماء الأعزاء الذي له مؤلفات عديدة في شتى الميادين.

ويعقب هذا العهد فترة تطور وازدهار حركة التأليف وظهر الشباب في مسرح التأليف والبحوث, وفي مقدمتهم البروفيسور علي نائبي سويد المتوفى سنة1998م. وله أكثر من عشرين إنتاجا, ما بين الكتب المنشورة وغير منشورة, ومن مؤلفاته" كيف نتذوق الأدب العربي",و"تعليق لغوي على كلمة"الأسقم" الواردة في الصلاة المعروف بجوهرة الكمال,و"صور من أسباب مشاكل النحو العربي,وغيرها.10

هذا, ويمكن تقسيم مؤلفات الشباب إلى أكاديمية وغير أكاديمية. أما الأكاديمية فهي عبارة عن الرسائل التي تقدم لنيل الشهادات الجامعية, والبحوث التي تنشر في المجلات الأكاديمية وما شابه ذلك.وأما غير الأكاديمية فهي الكتب المؤلفة في شتى العلوم والمعارف الإسلامية.

ومن الأكاديميين الذين لهم نصيب وافر في ميدان التأليف, منهم البروفيسور شيخو أحمد سعيد غلادنثي صاحب" حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا, والدكتور علي أبو بكر صاحب" الثقافة العربية في نيجيريا", والدكتور محمد الأول أبو بكر وضع عدة كتب في الأدب والنقد,منها" النويهبي دراسة أدبية نقدية"و"في مناخ الجامعي", والدكتور طاهر سيد صاحب" نشأة البلاغة العربية وتطورها",والدكتور ثاني خامس صاحب" المهارة اللازمة للدراسات الناجحة", والدكتور سركي إبراهيم صاحب"أثمار يانعة في العروض والقافية لطلاب المعاهد والجامعات في غرب إفريقيا", والشيخ قريب الله بن الشيخ محمد الناصر كبر له مؤلفات كثيرة في مجالات الدينية والعربية والصوفية, منها كتاب سماه" الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صوكتو", وآخرون.

وأما غير الأكدميين فهم أكثر عددا, وأغرز إنتاجا, وهم طبقة مثقفة من الشباب يعلمون في حقل الدعوة والتدريس في المدارس الخصوصية أو الحكومة, ومن هؤلاء الشيخ محمد النظيفي القرموي صاحب" فك الأغلال عن مضامين تحفة الأطفال في بيان حقائق الأفعال", و "إغاثة المستغيث في علم مصطلح الحديث" و"ضياء الفؤاد في سير ومدائح سيدنا محمد". والشيخ آدم يحي الفلاني صاحب" مع المؤرخين, و"مهمة الإنسان على سطح الأرض". والسيد منتصر عمر صاحب" مقدمة على الحاسوب". والسيد إبراهيم فرح الأبدي بن محمد الثاني بَقِن رُوا صاحب"تفريج الجوى بذكر مناقب الشيخ أبي بكر مجنيوى فيما جمع وحوى من الفيوضات بلا هوى". ثم السيد المرحوم الدكتور كبير ثاني صالح صاحب" مختطفات من الأدب العربي النيجيري, و" المدخل إلى دراسة الأدب العربي", و"أضواء على الأدب العربي في عصر صدر الإسلام والأموي",والسيد المرحوم أبو بكر بن موسى صاحب" عطر الإنياس في تاريخ حبيب النياس", وغيرهم كثيرون.

وبالاختصار تبلغ انتاجات الشباب في حقل اللغة العربية عشرات المئات في الآونة والأخيرة, وإذا وضعنا الإقبال الشديد الذي يقوم به الشباب اليوم تجاه التأليف فإن الأمل في المستقبل كبير جدا بالنسبة إلى اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتصوف. ومما يجدر الإشارة أنه لا يمضي شهر أو أسبوع من دون أن يصدر من الشباب قصائد أو مقالات أو كتب في شتى العلوم والمعارف الإسلامية, وكان مستوى هذه الإنتاجات تتراوح بين الجيد والردئ, وإن كان الجيد هو الأكثر.

***مستقبل اللغة العربية في بلاد كنو:**

إن مستقبل اللغة العربية عامة يتوقف على مستقبل الفكري المبدع الكائن في مجموعة الأمم التي تتكلم اللغة العربية. فإن كان ذلك الفكر موجودا, كان مستقبل اللغة عظيما كماضيها, وإن كان غير موجود فيعود وزرها على المتكلمين بها.

هذا, ولضمان مستقبل ناتج لطلاب المدارس العربية الحديثة في نيجيريا عامة ومدينة كَنُو خاصة يرى الباحث أنه من الأهمية بمكان الجمع بين الثقافتين العربية والإنجليزية, لأن أمام الطالب الذي يجمع بينهما الفرص الكثير سواء على الصعيد الدولي أو المحلي. لأن العربية ضمن اللغات الدولية المعترف بها في كثير من المنظمات العالمية.

ومما لا يخفى أن اللغة العربية من أرقى لغات العالم وذلك منذ العصور الغابرة لكونها ذات حضارة عتيقة وثقافة عريقة رفيعة. والحق يقال بأن دفع اللغة العربية وثقافتها نحو الأمام لا يمكن بدون أن يكون لطلابها مستقبل باهرة زاهرة. ومما يبشر بالخير أنه يوجد ما يدل دلالة واضحة على أن لطلاب اللغة العربية في هذه المنطقة–نيجيريا– مستقبلا نيرا في عالم العولمة, ولكن هذه البشارة مقيدة بشرط أن يكون لطلابها التمكن في اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات العالمية الأخرى. وبالنسبة إلى الشعب النيجيري إن اللغة العجمية الإنجليزية هي المفضلة لكونها اللغة الرسمية, وأن الأغلبية الساحقة من سكان نيجيريا اليوم توحدهم اللغة الانجليزية بسبب المجهودات الجبارة والتضحية الفائقة التي بذلها أصحابها. كما كفلت كثير من التشريعات الحكومية في بلاد العرب موقعا متفوقا من حيث عدها اللغة الأجنبية الأولى في نظم التعليمية.

وكان الشعب الذي لا يتقن هذه اللغة في ديار النيجيرية لا يستطيع أن يشارك مشاركة فعالة في جميع أنشطة البلاد من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

ومما نلفت أنظار الطلاب إليه أن في أوسطنا علماء العربية الأفاضل أصحاب العقول النيرة, والآراء الراجحة, والأفكار الناضجة في أي موضوع يطلب إليه حله, ولكن لعجزهم عن التعبير عن هذه الآراء والأفكار باللغة الأجنبية الإنجليزية أصبحت الحكومة لا تعبأ بهم وبعقولهم وأفكارهم. وتخسر الدولة بذلك خسارة كبيرة لما تفوتها من إسهامات هؤلاء العلماء. ونود أن نقرّ بأنه من صالح الإسلام والعربية أن يكون أكثر دارسي اللغة العربية في سلك توظيف الحكومة, بل يجب أن نشجع من له موهبة في السياسة منهم أن يتقدم لها, وكذلك من يرغب في الجمرك أو الإعلام أو غيرها من الأدوار التي يلعبها أصحاب اللغات الأخرى. ولا يمكن هذه كلها بدون الثقافتين.

وأما مستقبل اللغة العربية فبيد الله والعرب وحماة اللغة العربية. إن المشاكل التي تعوّق وتعرقل اللغة العربية كثيرة, وهذا فضلا عن مؤامرة الاستعمار والاستشراق. ومن المشاكل ما كان مسببها العرب أنفسهم, وعلى سبيل المثال فقد ضرب العرب عما لفت إليها حافظ إبراهيم الأنظار صفحا, وذلك أن الأمة تحترم باعتبار مكانة لغتها, قال:

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة * وكم عز أقوام بعزّ لغات 11

وأين العرب من هذا البيت اليوم؟, قد رموا العربية التي هي عزهم وشرفهم في المزبلة وأصبحوا يقدسون اللغات الأوروبية من الإنجليزية والفرنسية من غير ضرورة.

فحلتنا في نيجيريا تخالف حالة العرب, إذ نشجع تعلم اللغة الإنجليزية لا حبا لها, ولكن لضرورة ولحاجتنا إليها لكونها اللغة الرسمية في الدولة. ولا أرى داعيا يدعو العرب إلى تقديس اللغات الأوروبية. اذهب إلى أي قطر من الأقطار العربية اليوم وتحدث بلغة أوروبية فإنك تلقى احتراما كبيرا قد لا تتوقعه. أما إذا خاطبت الناس بالعربية الفصحى فإنك أيضا تلقى استخفافا لا تتوقعه, وقد يقولون لك بعد كلامك " صدق الله العظيم" استهزاء بلغة القرآن. وهكذا يعاون العرب الاستشراق والاستعمار في تدمير اللغة العربية.12

كما أنه من المعجب محاولة فصل اللغة العربية عن الإسلام وخاصة في المدارس الحكومية بحيث تجد الأستاذ المتخصص في الدراسات الإسلامية لا يفهم اللغة العربية, وفصلوا الشريعة عن الإسلام ونجحوا في فصل الدولة عن الإسلام بالديمقراطية. وهذا هو الأساس في ابتعاد العلماء عن شؤون السياسة.

ومما يجب أن يتعلمه العرب من الأوروبيين إيمانهم بأن عملية تطوير لغاتهم غير منحصر على الأوروبيين وحدهم, لذا فتحوا أبوابهم على مصاريعها أي واحد له إسهامات يقدمها لتطوير لغاتهم, ولا ينظرون في سبيل ذلك إلى عرق المساهم أو لغة أو عقيدة.

هذا, ومن أكبر المشاكل حماة العربية التي تجر اللغة إلى الوراء عدم توحيد صفوفهم, وكثرة المحاربة فيما بينهم. ومما لا جدال فيه أن في نيجيريا شمالها وغربها علماء نجباء, ومتضلعين في شتى الفنون العربية من القدماء والمحدثين, ومنهم ذوو المواهب العجيبة في تأليف, بيد أن بعضهم ينفقون الموهبة فيما لا طائل تحته, وفي ما لا خير فيه لأبناء المسلمين ولا للغة العربية, رغم أن أمامهم مجالا واسعا تحتاج اللغة العربية إلى من يؤلف فيه لتقدمها. ومن المجالات تحقيق وترجمة بعض المخطوطات العربية الزاخرة في مكتبنا, وتأليف الكتب التاريخية والسياسية والاقتصادية مما يحتاج إليها طلاب اللغة العربية في نيجيريا.

وعلى سبيل المثال يلاحظ في هذه الأيام أن خريجي المدارس العربية يخوضون مع الخائضين في ميدان السياسة كغيرهم, بيد أن قلة معلوماتهم في سياسة نيجيريا أدت إلى فشل بعضهم, لأن سياسة نيجيريا لها ميزة خاصة لا بد من معرفتها حتى لا يقع الإنسان في واد غير ذي زرع. إذًا, من المستحسن كذلك لأصحاب المدارس العربية تدريس مادة العلوم الاقتصادية السياسية والاجتماعية باللغة العربية. وعلى الذين لهم الموهبة التأليف أن يؤلفوا في هذا الميدان وغيرها من الميادين مما يعود بالنفع على اللغة العربية في المستقبل. وليعرف حماة اللغة العربية وخاصة المؤلفون منهم أن أمام اللغة العربية أعداء كثيرين يضمرون لها سوء, وليس من الحكمة أن نفتح ميدانا آخر للقتال فيما بيننا.وإن القيام بالعمل الإيجابي لإصلاح الحاضر وبناء المستقبل الباهر أجدى وأنفع من العمل السلبي.

***الخاتمة:**

لا شك أن تعليم اللغة العربية في كَنُو بدأ منذ زمن بعيد, وساهم علماء هذه المنطقة منذ تلك الفترة في تعليم العربية والإسلامية حتى أصبحت لها مكانتها في المجتمع النيجيري إذ أن الناس يحترمون العلماء احتراما لا مثيل لها لدورهم الفعالة في إنشاء المدارس العربية الإسلامية. ففي سبيل تعزيز تعليم اللغة العربية نشأ وتطور حركة التأليف عبر العصور, لذا تعرضت المقالة إلى ما تركه السلف للخلف من الانتاجات القيمة التي يشار إليه بالبنان من العلوم والفنون العربية والإسلامية. ورأينا أن التأليف لا يزال في طور النهوض, والمستقبل لا يزال باهرا للمدرسي اللغة العربية من ناحية وللكتابة والكتاب من ناحية أخرى.

***التوصيات:**

وإذا كان اللغة تنمو كما ينمو بني البشر فإننا في حاجة ماسة إلى رفع وتعزيز لغتنا لغة القرآن, لنجد لها مستقبلا نيرة ودعائم مستديمة نقترح ونوصي بهذه التوصيات لعلها نافعة ومفيدة لرفع المستوى اللغوي والتعليمي لأبناء المسلمين في المنطقة خاصة وفي نيجيريا عامة, والتي بها نؤهلهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس يصونون لغتهم الحقيقي ودينهم الحق يسعوا في رفع قيمتها ومكانتها في سائر اللهجات العالمية, وبذلك يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وحده, ومن هذه التوصيات ما يلي:

1.على الحكومة الولايات الشمالية تكثيف الجهود لإعادة مجد العربية القديم إليها, عن طريق توفير المنح الدراسية للراغبين في تعليم العربية والإسلامية في نيجيريا أو خارجها, وتوظيف في كافة المنشآت الحكومية.

2. تقوم المنظمة العربية والثقافة والعلوم بالتعاون المستمر مع المؤسسات التعليمية في شمال نيجيريا في مجال التربية والتعليم وتزويد المستجدات الحديثة في العملية التربوية.

3. التشجيع الكافي من حماة العربية وجمعية الخيرية أن يثقفوا الحكومة والجماهير على ضرورة جعل اللغة العربية لغة رسمية الثانية بدلا من الفرنسية التي لها تاريخ قديم في نيجيريا, وإن تحقق ذلك يرتفع شأن العربية وتصلح أحوال تعليمها في البلاد.

4. وعلى المدارس الأهلية في نيجيريا التزود في مناهجهم بالإنجليزية لتوفى بمتطلبات بيئتهم فيجعلهم أكثر تأثيرا ومفيدا لبلادهم وللغة دينهم الإسلامي.

5. وعلى المدارس والمعاهد خلق بيئة مدرسية تساعد الدارسين في المدارس والمعاهد على الممارسة والتحدث باللغة العربية الفصيحة في المدارس وخارجها بمختلف الوسائل الممكنة.

6. وعلى حماة العربية توحيد صفوفهم لحل العراقيل التي تعوق تقدم العربية في هذه المنطقة.

7. وعلى العرب أن يحترموا لغتهم التي هي قبلتهم وتراثهم وتراث المسلمين, إذ هي لغة القرآن ولغة رسول الله و لغة الإسلام.

***الهوامش؛**

1.السيد القاضي حسين الصوفي: **لنتعارف بأنفسنا**.مطبعة مينسرا,كنو نيجيريا (بدون التاريخ).ص57

2. عيسى عبد الرحيم الأول: **اللغة العربية ومستقبل طلابها في نيجيريا, إعادة النظر في قضية الثقافة الانجليزية في منهج المدارس العربية الحديثة**. مجلة (نتال), تصدرها جمعية اللغة العربية وآدابها في نيجيريا, مجلة السادس, مطبعة أبي حميا إلورن, سنة2009م.ص24

3. أبو بكر علي: **الثقافة العربية في نيجيريا من 1750–1960 عام الاستقلال**, مؤسسة عبد الحفيظ بيروت لبنان,سنة1972م.ص218

4.شيخو أحمد سعيد غلادنث"الدكتور":**حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**, الرياض شركة هيكان للطباعة والنشر, الطبعة الثانية سنة1993م.ص47

5. علي محمد جامع: **تطور الكتاتيب والدهاليز في نيجيريا, دهليز الشيخ أحمد الرفاعي ابيكن نموذجيا**. مقالة ألقاها في مؤتمر الدولي في جامعة ولاية كوغي نيجيريا عام2010م.ص3–6

6. آدم عبد الله الإلوري"الشيخ": **لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن**. القاهرة مكتبة الآداب سنة1982م.ص60

7. القاضي حسين الصوفي: **لنتعارف بأنفسنا**. ص139

8.محمد أمين عمر: **الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه"هدية الأحباب والخلان"**, زاوية أهل الفيضة التجانية كنو نيجيريا (بدون التاريخ),ص169.

9. الفاتح قريب الله الكبري:الشيخ محمد النصر الكبري (wild)ar.wikpedia.org ص7–17

10. محمد أول أبو بكر: **البروفيسور عليّ نائبي سويد, سيرة حياة(1937–1998م**".مجلة دراسات عربية السلسة الجديدة حولية تصدر عن قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو,نيجيريا.سنة2001م.ص10–11

11. مصطفي رسام: **تراجم الشعراء والأدباء, الإبداع القانوني**, الرباط,سنة1997م.ص107

12.عبد الرحيم عيسى الأول"الدكتور": **اللغة العربية ومستقبل طلابها في نيجيريا. إعادة النظر في قضية تضمين الثقافة الانجليزية في مناهج المدارس العربية الحديثة**..ص32